

نَقْدُ الصُّورِ الْمُقْتَرَبَةِ فِي إِصْلَاحِ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ

لِلْأَسْتَاذِ مُهَدِّيِ الظَّالِمِيِّ
الْعَرَافِيِّ

حينما فتحنا الباب أمام الكتاب لبحث موضوع الحرف العربي تجنبنا الخوض في المعركة وتركنا رحاتها تدور فيما بين الماهجين على الحرف العربي والدافعين عنه وكذا واثنين سلنا بأنها معركة لها دوافع بعضها طيب وبعضها شعوبى خبيث ، والمحنا إلى مقدار الجمالية في حرفنا هذا عند التعليق البسيط على بعض المقالات التى نشرناها ونشرها باستمرار ولعلنا نبدي رأينا الكامل قبل إغلاق الباب ، لكن لا بد هنا من بيان ما يلى تنويرا للأذهان .

1 - في أكثر لغات العالم نوعان من الحروف أحدهما للكتابة باليد والثانى للطباعة ، أما الحرف العربي فهو واحد في كليهما وفي ذلك ميزة ذات قيمة لا يمكن نكرانها ولكن فيه كذلك بعض ما يتبع رصانة الحروف في المطبعة لكثرة تداول الحرف ما بين أول ووسط وأخر ، وبهدر من وقتهم كثيرا .

2 - وفي اليوم وقد حلت هذه المشكلة بوجود المونتيب الإلكتروني فقد أصبح صنف الحرف العربي أكثر اختصاراً للزمن من رصانة حرقا حرقا كما كان من قبل .

3 - كما ظهرت محاولات ناجحة لاختصار الترابط بين الحروف المطبوعة إلى أدنى حد مما سهل مهمة الطباعة ، أما الخط الأيدري فقد يبقى على صورته وجماليته .

4 - ونحن من رأى صاحب المقال الاستاذ مهدي ظالمى بأن هذه المحاولات قد فاتتها الزمان ، ولكن ما حيلتنا والكتاب والمصلحون ومحاولو الإصلاح والتمهجون كلهم ما زالوا يعيذون ويكررون البحث في هذا الموضوع ؟ أفلأ ترك للأراء المختلفة حريتها وتنظر نتيجة المعركة ؟ ونحن على شبه اليقين بأن الحق والجمال والصورة الحلوة والتاريخ والمستقبل كلها مع حرفنا المتناسق بكل حلوته المستساغ بكل لطنه الحال بالرغم من المعارك الدائرة حوله . مدوخ حتى

على العشرين عاماً ، اي منذ ان الف المجمع عام 1938 لجنة « تعمل بجميع الوسائل المتاحة لتسهيل كتابة الحروف العربية والابتكار من ذلك لتسهيل القراءة العربية الصحيحة على ان لا يخرج هذا التحسين والابتكار الكتابة العربية عن اصول اوضاعها العامة » (8) حتى انتهاء اللجنة الفرعية الى استبعاد كل « المقترفات التي ابتكرت حروفنا او علامات شكل متصلة او منفصلة للأسباب الآتية :

- 1 — انها تخرج حروف الكتابة عن طبيعتها واصولها واصاعها المتعارف عليها .
- 2 — انها تباعد بيننا وبين تراثنا المكتوب بالحروف العربية المألوفة .
- 3 — تقضى على فن الخط العربي الموروث .
- 4 — ان فيها من التعقيد والتوكير ما يحول بيننا وبين غرض التيسير والاختصار » (9) .

ويلاحظ ان الاسباب المقدمة التي دفعت بها اللجنة مثل هذه المقترفات تصلح تماما لدفع الاقتراحين الجديدين اللذين طرحتهما « اللسان العربي » ، وربما كان فيما من التشويه والتوكير اكثر مما في بعض تلك المقترفات المرفوضة ، فكلمة « كتب » مثلا على مقترن الاستاذ مصطفى النعمن تكون صورتها كالاتي : وعلى مقترن الاستاذ بلعباس ولا اظن احدا ينكر ما في الصورتين من تحريف وتشويه لجمال حرفنا الاصيل .

ونستطيع ان نضيف الى ما ذكرته اللجنة من اسباب مقتنعة لاستبعاد هذه المقترفات اسبابا اخرى منها :

5 — ان المقترفين يهادن الكتابة العربية انسياحيتها بما يضعن لنظام النقط من تعقيد ، وما يترضان بها من اتصال ، وما يتطلبان من كثرة الخطوط المختلفة الاتجاهات ، وما يستتبع ذلك من جهد مضاع ، يلاحظ هذا في رسم حروف كلمة « كتب » المتمدة .

6 — ان الحروف المقترفة تفتقد اهم خصيصة من خصائص الحروف العربية » حيث ان الحروف العربية تعين على الاختزال عند الحاجة اليه بسبب السرعة والاقتصاد ، وللسريعة والاقتصاد قيمتها في هذا الزمن » (10) .

نشرت « اللسان العربي » في الجزء الاول من المجلد التاسع صورتين مقترفتين لاصلاح الحرف العربي للستانين مصطفى النعمن ، ويحيى بلعباس (ا من 219 ، ص 221) ..

وأود ان أشير — قبل مناقشة الاقتراحين — الى ان الفكرة بمجملها قد جازها الزمن ولم يعد لها من الأهمية ما كان لها قبل عقدين من السنين . وفكرة الاصلاح للحرف العربي بوضع حروف بديلة منه تقع ضمن دائرة الاتهام للحرف العربي بالقصور عن ثانية المعانى الجديدة التى طرحتها الحضارة المعاصرة ، وهى حلقة في سلسلة طويلة بدأت بالشكوى من صعوبة اللغة العربية ، وتهويم لهذه الصعوبة حتى صور بعضهم تعلمها ضربا من المستحيل (1) ، ثم بمقترفات طرحتها الاوساط الاستعمارية والشبوهة (2) ، والساخرون في الركاب (3) ، وبلغت ذروتها حينما سللت الى اروقة بعض الجامعات اللغوية في البلاد العربية (4) . وطرحها على صفحات « اللسان العربي » من جديد ينبع بانياها لم تنته بعد .

اما سدنة الحرف العربي ، والمستشرقون المنصون (5) فلم يكتفوا من هذه الدعوات موقف الرفض السلبي ، بل تدارسوا كل دعوة بوعى وفهم واتخذوا بحقها ما يجب من الموقف الذى وحدها اليمان بقدرة الحرف العربي على احتواء الفكر الانساني المعاصر ، وصلاحيته للتعبير عنه ، كما صلح بالامس لاحتواء الفكر اليونانى والروماني والهندى والتارسى . وحان لجمع اللغة العربية في القاهرة دور بارز في هذه الدراسات ، فتقبل كل دعوة واقتراح لاصلاح المزعمون ، ودرسها في ضوء الواقع اللغوى الذى تعيشه الامة ، والنتائج الترتيبة على تطبيق كل اقتراح (6) .

ودعوة الاستانين النعمنه وبلعباس تقع ضمن عشرات الدعوات من امثالها والى ساحت جميعها بالفشل ، وتحجرت على صفحات الكتب والمجلات التي نشرتها ، ولم يعد لها على صفحات الواقع اللغوى وجود (7) وفي مجال مناقشتنا للاقتراحين لا نجد بدا من اعادة الاعتراضات التي رد بها المدافعون عن صلاحية الحرف العربي على تلك الصور المقترفة بدللا للحرف العربى ، ولا بد لنا ايضا من الوقوف عند نتائج دراسات اللجنة التي النها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والتي استمرت دراستها لهذه الحروف البديلة ما يزيد

7 - « ان الحروف العربية قد استعملت لا في لغتنا فقط بل ان اماما كثيرة ، اسلامية وغير اسلامية استعملتها ايضا » (11).

فاستبدال هذه الحروف الشوهاء بها لا تفقدنا ملتنا بتراثنا فحسب بل تفقدنا صلتنا بهذه الامم وملتها بنا ايضا .

8 - ان الحروف العربية « لطول عهدا بما قد اصبحت جزءا من اللغة لا ينفك عنها ، الفنادق والفتها انواهنا ، وتكونت من هذه الالفة عادات ذهنية من الصعب علينا ان نعدل عنها الى غيرها لغير حاجة قاضية لهذا العدول » (12).

اما ما يتعلق من الاقتراحين بشأن الحركات فلم يكن جديدا في المحاولات التي زعمت اصلاح الحرف العربي فهو نفس الاقتراح الذي طبّع في جسم الكلمة ، فذلك يعني ان زمام الكاتب وضع الشكل كملما « وفي هذا بالطبع – علاوة على ما فيه من فرض رأى الكاتب على القاريء من حيث الخطأ والصواب – تطوير في كتابة الكلمة طباعة وكتبة » (16).

ونعود – اخيرا – الى ما ورد في معرض التقديم المقترحين من القول : ان الجامعة العربية جاءت الان في دراسة لمثل هذا الابتكار للاتفاق على حل نهائي ، فهو – ان صح – يعني ان المؤسسات الثقافية للجامعة العربية تشتمل نفسها بما يوضع غير ذات جدوى ، لأن مؤسسات ثقافية اخرى انتهت من بحث هذه الموضعية وهو يخالف ما عهد به مؤسسات الجامعات الثقافية في مثل هذا المجال ، وعن امثلة الثقة التي توليهما الجامعات لباحثات مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ان اللجنة التي تقودها الادارة الثقافية في الجامعة للنظر في تيسير الكتابة العربية عند ما اجتمعت اجتماعها الاول في اواخر مارس عام 1956 رأت ان تنضم الى لجنة التيسير بالمجتمع وان توالي اجتماعاتها يدار المجمع للاطلاع على جهوده في موضوع التيسير ، فهل ان هذه المؤسسات عانت الان لتلقى من حسابها كل الجهود المبذولة في هذا المجال ، لتبدا من جديد دراسة لصورة حروف مبتكرة ؟

كما ان المكتب الدائم للتعرّيف الذي قال عن نفسه انه « يأمل ان يكون اتصاله بالجامع اللغوية اكبر عملا ... كما سيكون اتصاله بالهيئات العلمية العربية اكبر توطدا واستقرارا لتجنب اذدواجية العمل بحيث لا اننس هيئة منها في موضوع تقوم هي على

1 - انه يستدعي تطويلا في الكتابة العربية ، وما يستلزم ذلك من استنزاف للجهد والوقت والمال في الكتابة اليدوية والطباعة ، ويجرد الخط العربي من ميزته الفذة (الاختزال) ، يقول العلامة (نليليو) في معرض رده على الاقتراح الداعي الى استعمال الحروف اللاتينية يقول عن الخط العربي : « فهو قريب مما يسمى بالاختزال ، والخط العربي ليس في حاجة الى الاختزال لأن طبيعته تفهي عن طرق الاختزال » (15).

2 - في حالة تطبيق مثل هذا الاقتراح سيمحصل ليس بين صور حروف المد الاصلية ، وصورها المعيش بها عن الحركات مكلمة « محمد » عنده يتبين ان تكتب « موحٌمـلـون » – وكان من مقترنه مك الاذحام

عن مبررات طرح مثل هذين المقترنين على صفحات «اللسان العربي» التي تؤلف نقطة ارتكاز في الدراسات اللغوية ، والتي تضع خدمة اللغة العربية وتبسيطها ، ونشرها بين المتعلمين المهدى الاساسى لها ، وليس في الاقتراحين تيسير ولا تجديد ، بل تعقيد وتشويه ..

ختمه » انه بطرحه لهذه النماذج من الحروف المقترحة الزم نفسه هو الآخر بأن يبدأ من حيث بدت تلك المؤسسات لا من حيث انتهت ، وهو ما يتبعى ان يكون . وختاما ، ليس من حق الانسان العربي ان يتسلط

1 — قال احد المستشرقين عند ما بدأ يتم العبرية : « اننى اوثر ان اجتاز افريقيا كلها ماشيا من الاسكتدرية الى الرجاء الصالح على ان اشرع ثانية في تعلم اللغة العربية » حاضر اللغة العربية : سعيد الافانى من 176

2 — من امثال دعوة « ولم سبيتا » عام 1880 لاصطناع العامية وكتابتها بحروف لاتينية في كتابه « قواعد العربية العلمية في مصر » . ورددتها القاضى الانكليزى « ولور » في كتابه « لغة التاهرة » عام 1903

3 — يلاحظ هذا في كتاب « ياره — شعر » لسعيد عقل والذى كتب على غلافه : اول كتاب لبناني يطبع بحروف لاتينية ، نقا : عن القومية العظمى للدكتور عمر فروخص 147 . ويلاحظ كذلك « حروف الهجاء العربية » للدكتور انيس فريحة . وغيرهما .

4 — طرح عبد العزيز فهمى راييه باستبدال الحروف اللاتينية بالعربية على مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1943 وشفل اعمال المجمع طيلة ثلاثة اعوام (يلاحظ راييه منصلا في كتابه « الكتابة العربية بحروف لاتينية ») .

5 — امثال المستشرق الفنلندي « يوحنا اهتينين كرسكو » (يلاحظ دفاعه عن الحرف العربى في مجلة المجمع العلمي العربى بدمشق 4 — 486 الصادرة عام 1924 (نقا عن حاضر اللغة العربية من 175) .

والمستشرق « نيلينو » الذى دافع عن الحرف العربى ، ورد دعوة القائلين باستبدال الحرف اللاتينى به (يلاحظ ذلك في « الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر : للدكتور محمد محمد حسين : 2 — 355) .

6 — يلاحظ مجلم هذه الدواستة في « مجموعة البحوث والمحاضرات التى القىت فى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى دورته الخامسة والعشرين ابتداء من من 77 »

7 — اورد الدكتور انيس فريحة نماذج من هذه المور في كتابه « حروف الهجاء العربية » .

8 — مجموعة البحوث والمحاضرات : الدورة 25: 77 ، ص 77 .

9 — المصدر السابق : الدورة 26 من 239 .

10 — تاريخ الدعوة الى العالمية وآثارها في مصر : الدكتورة نفوسة زكريا سعيد من 219 .

11 — المصدر السابق من 219 .

12 — يلاحظ راي الكرملى في « الاتجاهات الوطنية » 2 — 351 .

13 — المصدر السابق 2 — 255 .

14 — مجموعة البحوث والمحاضرات : الدورة 25 من 79 .

15 — المصدر السابق من 81 .

16 — اللسان العربي ج 1 م 9 .